أو كمثل ذوي صيب فالأشياء المشبه بها مذكورة نصوصا بها دون الأحوال المشبهة فإنها مطوية فطلع الفجر
على ما يسوق فإن مثل من المنافقين دين الحق به القلوب حتى شبه بالصيب إحسانا لهم يلبسون بدين الإسلام الذي
فيه حياة القلوب لكن على وجه السماح فكأنهم دون أمر أعاد وبلاء فحالهم بالنسبة إليه كحال القوم بالغاشي لهم الصيب
وإنما لأن رغ بقوله والمراد كمثل قوم أصابتهم السماء على هذه الصفة وهي أن أصابتهم مطر هطال فيه ظلمات متراكمة
ورعد قاصف وبرق خاطف وصواعق مهلكة فلقوا من الخوف والمشقة والدهشة ما لقوا   فإن قلت هذا الذي
شبه أحوال المنافقين بأحوال السفر قد أوقع ذوي الصيب بعد الموثوق شبيه الأشياء بأشياء وليس ذكر المشبهات
مع أن الأمور المشبهة بها مذكورة صريحا وصلاح مذكرنا أيضا   وما سوى اللآلئ فيه شيء على خلاف دوب
اللف حيث شبه المؤمن الصالح بما يسر والمسيء بالأعمى في قول امرئ القيس يشير على ربيبه ورطبا ويابسا معا حال
من القلوب أي رطبا بعضها ويابسا بعضها والعامل فيها كأن ولدى وكرها حال … شبه رطب القلوب
بالعناب ويابسها بالحشف وسواد وارد التمر البالي بصفة عبأ بالكثرة الاصطفاف فإنها لا تأكل ذنب
العقاب   بعد ما مثلوا وذكره على سبيل الاستعارة   تردد أن طريقه الاستعارة أن يطوى ذكر المشبه
قطعا ويجعل الكلام خلوا عنه فلا يكون مذكورا لفظا ولا مقدرا في نظم الكلام وأما التشبيه فقد يطوى
فيه أيضا ذكره كذلك والفرق بينهما حسن وجهين الأول أن المتروك في التشبيه منوي مراد ومن الاستعارة منسي
بالكلية ومن هنا يكشف لك ما قررناه في الاستعارة التمثيلية كرحم الله على ما توهم من أن الكل قد يقصد إليها بألفاظ
منوية مقدرة في نظم العبارة فيعرف ويعود العبرة أن لفظ المشبه به في التشبيه مستعمل في معناه الحقيقي ومن الاستعارة
مستعمل في معنى المشبه حتى لو أقيم اسم المشبه مقامه صح المرام ولا يفوت إلا المبالغة المستفادة من التشبيه والاستعارة
ومن ههنا أن قوله وما يستوي البحران من قبيل التشبيه إذ لم يرد بالبحرين إلا معناه الحقيقي يدل على ذلك قوله هذا عذب فرات
سائغ شرابه إلى قوله وترى الفلك فيه مواخر والمقصود تشبيه الإسلام والكفر بعد ما بين البحرين الموصوفين أي الإسلام
والكفر اللذان هما كالبحرين المذكورين ومن ثم علم أنه من قبيل الاستعارة فقد قال إن ما بعده بيان لسلامة النقل وكذا
الحال في قوله ضرب الله مثلا أي معناه أن الله مثل عبدا مشركا فيه شركاء متشاكسون منازعون العبد وعبدا خالصا
لمالك واحد مثلا للموحد فكل واحد من هذين الاسمين مستعمل في معناه الحقيقي لأن المشرك والموحد كالعبدين في إدراك
وذكر المشبه في الآية مطوي فإن قلت كيف تقديره فيها قلت هو منوي في الإرادة فلا حاجة إلى تقديره وإذا أريد
تقديره … المذكور بلا تقدير كان في الآية أن الله … فيهما … الاسم معه … بعلامة كقوله …

وما يستوي   والصحيح الذي عليه علماء البيان هو عطف على جملة لقائل أن يقول وليس من تمام الجواب أو كمثل
… ويستفاد منه أن الموثوق الذي ذكره في المفصل احتمال العطف مذهب أهل السلف من الصحابة وأما علماء
البلاغة الذين كانوا على هذا المكان فلا ساغ له ذلك لأنه يحصل في النفس من تشبيه الهيئات المركبة ما لا يحصل
من مفرداتها فإنك إذا تصورت حال من أخذتهم السماء في ليلة مظلمة مع تراكم السحب وانسياح قطراتها وتواتر
فيها الرعود الهائلة والبروق المخيفة والصواعق وهم في ذلك يزاولون غمرات الموت حصل في نفسك هيئة عجيبة
توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك بالصيب والشهاب إلى ما عرفه هناك ولقد الغاية
كلام مشهور في أن اعتبار التركيب في قوله وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق أحق وأولى
فإن صح التشبيه من مفرداته وقال السكاكي كلما كان التركيب خياليا كان أو عقليا من أمور أكثر كان حال التشبيه
والغرابة أقوى وأصحها في تشبيه المفردات وطي ذكر المشبهات تكلف ظاهر وأيضا لفظ المثل يدفع على التركيب المتبادر
منه القصة التي هي غرائبها كالمثل السائر ومن السنة المركبة وكل واحد من مفرداتها وقد تقال إنما يستقيم الكلام في التمثيل
يدل على ارتباط الكل بعضه ببعض فإن الفاء وكلا لا يدلان على اعتبار التأليف وقوله فيه ظلمات حسنه نصب
ومحل … بأن المفردات المشبهة منظور فيها مع الارتباط فيما بينها فلا دلالة على التركيب   لا يحطونه ما كيد للصلة
ولا يكلف فيه إخراجها والعائد محذوف أي فيهما أو تشريك الأول والعذر في تشبيه راجع إلى الشيء وهي به إلى واحد قوله
لا واحد منها الحق وذلك إشارة إلى أنه لم يعتبر التآلف بين تلك الأشياء بحيث يصير الكلام واحدا أو ملحوظا بينها ملاحظة
واحدة فلا يفصل بين أجزائه فلا ينافي اعتبار الارتباط بينها على وجه آخر كأنه   وشبه عطف على ما صح عطوف عليه
بالفاء أعم تشبيهها وإرادة بالكلمة هيئة مركبة من أمور متعددة وفي قوله جمع ما دقت شيئا واحدا التصريح بأن كل واحد
من تلك الأشياء يستحق أن يلاحظ قصدا ويضم إليه صاحبه كيف يتم على مجموعها ملاحظة واحدة إلا على أن المعتمد
سابق به بألفاظ مجملة ولا يقصد القصد إليها لذلك إلا بألفاظ مذكورة أو مقدرة أو منوية فيصير بذلك شيئا واحدا
وإذا أمكن أن لفظا واحدا وضع لمعنى مركب ولوحظ به ذلك المعنى قصدا وشبه بمعنى آخر مثله لم يكن ذلك من التشبيه المركب
في شيء وإن لوحظ أجزاؤه مفصلة في ضمن ألفاظ متعددة والتشبيه مقصود وصيانة وشبهت بآخر مثلها كان تشبيها مركبا
مطلقا   كل من … ولكن لا التشبيه المركب يجب أن يكون لفظه مركبا على أحد الأنحاء المذكورة وقد سئل في شرح المفتاح
أن التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية يجب تركيبهما لفظا وأن ما توهم جماعة من المتأخرين أن مفرد العصا قد يكون …
ولا يشترط تركب الأمور المتساوية في العالمين عنده وذلك إشارة إلى المذكور وهو محل الاستعارة ومحل ما عداها أو مثل حال من فاعل

Copyright © King Saud University